الفصل الأول

التعجيل بالخيرات

obeikandl.com

الفصل الأول

التعجيل بالخيرات

مدخل:-

أوضحنا من قبل أن العجلة هى تقديم الأمر قبل أوانه المقدر له ، وهى مذمومة فى معظم آى القرآن الكريم ؛ إلا أن هذا الحكم – كما أوضحنا- ليس على إطلاقه ، فهناك أمور يحتاج فيها المرء إلى مزيد من التدبر والتأمل والتريث ؛ للجهل بعاقبتها ، فهذه يستحب فيها التمهل لا العجلة ؛ إذ بالعجلة يفوت الغرض وتضيع الفرص .....

وهناك أمور يعلم المرء عاقبتها فلا تحتاج إلى تدبرأوتأمل ، فهذه الأمور يستحب فيها العجلة لا التمهل ؛ إذ بالتمهل يفوت الغرض ولا يحصل المراد .

وهذا ما أوضحه الإمام النيسابورى -رحمه الله- عند تفسير قوله " فاستبقوا الخيرات " فقال : " الأمور متفاوتة ، منها ما يحمد فيه التأخير لكونها مما يحصل على مهل وتدريج ، فلو طلب منها خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعى ، أو لكونها غير معلومة العاقبة فتفتقر إلى مزيد تدبر وتأمل ، ومنها ما يحمد فيها التعجيل لضد ما قلنا، فتنتهز فيها الفرصة وتغتنم ، فإن الفرص تمر مر السحاب"[1].

وهذا الأخير هو ما نعنيه فى هذا الفصل ، وقد قسمته إلى بحثين :

البحث الأول : دعوة القرآن الكريم إلى التعجيل بالخيرات والمسارعة إليها.

البحث الثانى : نماذج لبعض الأمور التى يستحب فيها التعجيل .

---

[1] غرائب القرآن ورغائب الفرقان،لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى ٣ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، تحقيق أ.د/حمزة النشرتى ، الشيخ/ عبد الحفيظ فرغلى ، أ.د/عب الحميد مصطفى ، المكتبة القيمة .

المبحث الأول

دعوة القرآن الكريم إلى التعجيل بالخيرات والمسارعة إليها

مما سبق تبين لنا أن التعجيل الممدوح هو : ما يتعجل فيه لخوف فوات غرض أو ضياع ثواب ، أو كان معلوم العاقبة ولا يحتاج فيه إلى التدبر والتأمل .

وهذا إنما يكون فى أعمال الآخرة ؛ إذ هى معلومة العاقبة وبالتمهل فيها يفوت الغرض ويضيع الثواب .**قال الإمام الرازى -رحمه الله-** : " العجلة ممدوحة فى الدين قال تعالى :"**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين**"(١)(٢).

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام :"**وعجلت إليك رب لترضى**"(٣) فالعجلة إلى رضا الله تعالى وإلى أداء الواجبات قبل فوات الأوان ممدوحة ، وتكون حينئذ بمعنى السرعة إلى فعل الخير والمبادرة إليه "قال رسول الله -ﷺ- : التؤدة فى كل شىء إلا فى عمل الآخرة"(٤).

والمعنى" التأنى فى كل شىء من الأعمال خير إلا فى عمل الآخرة ؛ لأن تأخير الخيرات آفات"(٥).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٣٣ .

(٢) التفسير الكبيرأومفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الرازى الشافعى ، المجلد الحادى عشر ٢٢ / ٨٥ ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٣) سورة طه ، من الآية: ٨٤.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأدب ، باب فى الرفق ٤ / ٢٥٥ رقم الحديث (٤٨١٠) عن مصعب بن سعد عن أبيه ، (سنن أبى داود سليمان بن أشعث أبو داود السجستانى الأزدى، طبعة دار الفكر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) كما أخرجه الحاكم فى مستدركه كتاب الإيمان ١ / ٦٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(المستدرك على الصحيحين فى الحديث للحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى ،دار الفكر بيروت١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

(٥) عون المعبود فى شرح سنن أبى داود ٣ / ١١٤ بتصرف يسير ، دارالكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

ويوضح هذا الإمام المناوى فى فيضه فيقول :

"التأنى مستحسن محمود إلا فى عمل الآخرة محمود فيه، بل الحزم بذل الجهد لتكثير القربات ورفع الدرجات ، وقيل معناه أن الأمور الدنيوية لا يعلم أنها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها ، أو مذمومة حتى يتأخر عنها بخلاف الأمور الأخروية ، لقوله سبحانه:"**فاستبقوا الخيرات** "[1]" **سابقوا إلى مغفرة من ربكم**"[2][3].

قيل لأحد العلماء لا تعجل فالعجلة من الشيطان فقال : لو كان كذلك لما قال بنى الله موسى عليه السلام : " وعجلت إليك رب لترضى" وقيل: المتأنى فى علاج الدواء بعد أن عرف الداء كالمتأنى فى إطفاء النار وقد أخذت بحواشى ثيابه"[4].

ولذا ؛ فقد جاءت العديد من الآيات القرآنية التى تحث على المسارعة إلى الخير والاستعجال إليه ، كما حث النبى -ﷺ- على ذلك قبل فوات الأوان ، وكما مدح القرآن الكريم صحابة رسول الله -ﷺ- على سبقهم وتنافسهم فى وجوه الخير والطاعات؛ لنيل خيرى الدنيا والآخرة ...

أما الأول : وهى الآيات القرآنية التى تحث على المسارعة إلى الخير والاستعجال فى أدائه ، فقد قال تعالى " **فاستبقوا الخيرات**"[5] أى "بادروا إلى فعل الخيرات وكل نوع من أنواع الخير ، وليحرص كل منكم أن يكون سباقا إليه ، وأن يتبع أمر المرشد لا أمر المكابر المستكبر

---

[1] سورة البقرة ، من الآية: ١٤٨ .
[2] سورة الحديد ، من الآية: ٢١ .
[3] فيض القديرشرح الجامع الصغير لـ عبد الرؤف المناوى ٣ / ٢٧٧،المكتبة التجاريةالكبرى ، مصر ١٣٥٦هـ ، الأولى.
[4] محاضرات الأدباء لـ أبى القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهانى ١ / ٤٢ . دار القلم بيروت ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ تحقيق عمر الطباع .
[5] سورة البقرة ، من الآية: ١٤٨.

، الذى يتبع الهوى ويلقى الحق وراءه ظهريا ، فإنه إنما استبق إلى الشر والضلال " **فماذا بعد الحق إلا الضلال**"[1][2].

هذا وقد استدل الشافعية بهذه الآية على أن الصلاة فى أول وقتها أفضل ، لأن ظاهرا الأمر للوجوب ، فإذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب"[3].

قال الإمام القرطبى -رحمه الله- عند تفسير الآية:

الأصل فاستبقوا إلى الخيرات ، فحذف الحرف والمعنى :بادروا بما أمركم الله -ﷻ- من استقبال البيت الحرام[4]، وإن كان يتضمن الحث على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم ، فالمراد ماذكر من الإستقبال لسياق الآى ، والمعنى المراد المبادرة بالصلاة أول وقتها ، فلقد روى عن أبى هريرة [5]-رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : "إنما مثل المهجر[6] إلى الصلاة كمثل الذى يهدى[7] البدنة ، ثم الذى على أثره كالذى يهدى البقرة ، ثم الذى على

---

[1] سورة يونس ، من الآية:٣٢.

[2]تفسير المراغى لـ أحمد مصطفى المراغى ، ٢ / ١٥ ط . دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

[3]تفسير الخازن ، المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل لـ العلامة علاء الين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى ، ١ / ٩١ . ط الأولى ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، ضبطه وصححه / عبد السلام محمد على شاهين .

[4]لأن سياق الآيات تتحدث عن تحويل القبلة من البيت المقدس إلى البيت الحرام فالآية: تدعو إلى المبادرة إلى استقبال البيت الحرام امتثالا لأمر الله ، وأيضا هى عامة فى المبادرة إلى جميع الطاعات .

[5] الصحابى المعروف اختلف فى اسمه فقيل كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماه النبى بعبد الرحمن ، وإنما كنى بأبى هريرة لأنه وجد هرة فحملها فى كمه فقيل له أبو هريرة وكان أحفظ أصحاب رسول الله -ﷺ- وألزمهم له صحبة على شبع بطنه فكانت يده مع يده يدور معه حيث دار إلى أن مات ولذلك كثر حديثه، روى عن النبى وعن أكثر الصحابة أمثال أبى بكر وعمر والفضل بن العباس ، وروى عنه ولده المحرر وابن عمر وابن عباس وآخرون ، توفى رضى الله عنه وهو ابن ثمان وسبعين سنة قيل سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين وقيل تسع وخمسين .{ أنظر الإصابة فى تمييز الصحابة، لـ أحمد بن على بن حجر أبى الفضل العسقلانى الشافعى ٧/ ٤٢٦ وما بعدها ، دار الجيل بيروت ، الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م ، تحقيق / على محمد البجاوى ، وانظر ترجمته فى المعارف لـ ابن قتيبة أبى محمد عبد الله بن مسلم ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، دار المعارف القاهرة ، تحقيق د/ ثروت عكاشة}.

[6] أى المبادر إلى الصلاة قبل الناس .{ سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى كتاب الإمامة / باب التهجير إلى الصلاة ،١ / ١١٦ / دار الجيل بيروت .

[7] من الإهداء أو المراد به التصديق بها تقربا إلى الله ، وقيل : الإهداء إلى الكعبة لكن لا يناسبه الدجاجة والبيضة ، إذ إهداؤهما إلى الكعبة غير معهود { سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى كتاب الإمامة / باب التهجير إلى الصلاة ،١ / ١١٦.

أثره كالذى يهدى الكبش ، ثم الذى على أثره كالذى يهدى الدجاجة[١] ، ثم الذى على أثره كالذى يهدى البيضة"[٢].

وروى أيضا عن أبى هريرة -ﷺ- أنه قال: قال رسول الله -ﷺ- "إن أحدكم ليصلى الصلاة لوقتها وقد ترك من الوقت الأول ما هو خير له من أهله وماله "[٣].

وروى ايضا عن ابن عمر[٤] قال : قال رسول الله -ﷺ- :" خير الأعمال الصلاة فى أول وقتها "[٥].

---

[١] بفتح الدال وكسرها وضمها وقيل بالفتح للحيوان ، وبالكسر للناس أى يجعل اسما للناس { سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى كتاب الإمامة / باب التهجير إلى الصلاة ،١ / ١١٦ .

[٢] أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب الجمعة باب الاستماع إلى الخطبة بلفظ (إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد ، يكتبون الأول فالأول ومثل المهجر كمثل الذى يهدى بدنة ، ثم الذى يهدى بقرة ، ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة ، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر) ١ / ٢٧٦ المكتبة العصرية . صيدا ، بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م تحقيق محمد على القطب . كما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه / كتاب الجمعة باب فضل التهجير يوم الجمعة ، بلفظ (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر ومثل المهجر كالذى يهدى البدنه .... وذكر الحديث ٢ /٥٨٧ رقم الحديث (٢٤) ، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى الباب الحلبى ، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقى ، كما أخرجه الإمام النسائى فى سننه "بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى واللفظ له ، كتاب الإمامة باب التهجير إلى الصلاة " ١ / ١١٦.

[٣] أخرجه الدارقطنى فى سننه ، باب النهى عن الصلاة بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر ١ / ٢٤٨، رقم الحديث (١٦) ، سنن الدارقطنى ، تأليف شيخ الإسلام حافظ عصره الإمام الكبير على بن عمر الدارقطنى المولود سنة ٣٠٦ والمتوفى سنة ٣٨٥، عالم الكتب بيروت .

[٤] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى أبو عبد الرحمن القرشى العدوى الصحابى شقيق حفصة أم المؤمنين رضى الله عنهما ، كان أحد الأعلام فى العلم والعمل ، هاجر به أبوه قبل أن يحتلم واستصغر من أحد وشهد الخندق وما بعدها ، وروى عن النبى علما كثيرا وروى عن حمزة وسالم وبلال وآخرين، وشهد فتح مصر والغزو بفارس، ومات بمكة سنة أربع وسبعين على الصحيح عن أربع وثمانين { التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين السخاوى ٢/٦٤وما بعدها. ط.الأولى ١٤١٤-١٩٩٣ ، دار الكتب العلمية بيروت ، وانظر ترجمته فى الإصابة ٤/١٨١ومابعدها.

[٥] أخرجه الدارقطنى فى سننه عن طريق يعقوب بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، باب النهى عن الصلاة بعد صلاة الفجر ، وبعد صلاة العصر ١/٢٤٧ رقم الحديث (٧) ، والحديث ذكره الحاكم فى المستدرك ، كتاب الصلاة، باب فى مواقيت الصلاة ، ١/١٨٩ وقال يعقوب بن الوليد هذا شيخ من أهل المدينة سكن بغداد وليس من شرط هذا الكتاب إلا أنه شاهد عن عبيد الله ، وقال الإمام الذهبى يعقوب بن الوليد أبو يوسف الأزرى المدنى عن حازم وهشام بن عروة وعن أحمد بن منيع وابن عرفة وطائفة قال أحمد مزقنا حديثه ، وأبو حاتم ويحيى وقال أبوداود غير ثقة وقال الدارقطنى ضعيف وقال أحمد أيضا وكان من الكاذبين الكبار يضع الحديث { ميزان الإعتدال فىأسماء الرجال لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ٤/٤٥٥ تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة بيروت لبنان ، وينظر الكامل فى ضعفاءالرجال لأبى أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى ٧/١٤٧ ، ط الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٩-١٩٨٨ ، والحديث له معنى فى صحيح البخارى كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها ١/١٧٩ ، من حديث الوليد بن العيزار قال : سمعت أبا عمر الشيبانى يقول : حدثنا صاحب هذه الدار- واشار إلى دار عبد الله ، قال :سألت النبى -ﷺ- أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها ، قال : ثم أى؟ قال : بر الوالدين قال : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى .

كما قال رسول الله -ﷺ-" أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله "[1][2].

نستدل من الأحاديث المذكورة على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل وهذا اختيار الإمام الشافعى حيث استدل بالآية السابقة وبقوله تعالى :"**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**"[3] قال ومن المحافظة عليها تقديمها فى أول الوقت لأنه إذا أخرها عرضها للفوات ، وبقوله تعالى :"**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**"[4] والصلاة تحصل بذلك[5] ، أما أبو حنيفة فقد اختار التأخير؛ لأن فيه انتظار للصلاة وهو ثواب كبير وفيه تكثير الجماعة وتقليل النوم واظهار لمعنى التيسير بامتداد الوقت ، وهو الذى أشار إليه الرسول -ﷺ- فى قوله "وآخره عفو الله " فالمراد بالعفو الفضل ، قال تعالى:"**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو..**"[6][7].

أما الإمام مالك فقد فصل القول ؛ فقال الصبح والمغرب أول الوقت فيهما أفضل ، فالصبح لحديث عائشة[8]- رضى الله عنها – قالت:

---

[1] أخرجه الدارقطنى فى سننه ، ٢٥٠/١ باب النهى عن الصلاة بعد الصلاة الفجر وبعد صلاة العصر ، وكما أخرجه البيهقى فى سننه {السنن الكبرى لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى } ٤٣٥/١ دار الفكر . كما أخرج الترمذى فى سننه أبواب الصلاة ٣٢١/١ من حديث أحمد بن منيع حدثنا يعقوب بن الوليد المدنى عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله -ﷺ-: الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله وقال هذا حديث غريب "(الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق أ/ أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة)، قال البيهقى هذا حديث يعرف بيعقوب بن الوليد المدنى ويعقوب منكر الحديث ضعفه يحيى بن معين وكذبه أحمد بن حنبل وسائر الحفاظ ونسبوه إلى الوضع{ سنن البيهقى كتاب الصلاة ٤٣٥/١، دار الفكر }.

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، المجلد الأول ١١٢/٢ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

[3] سورة البقرة ، الآية: ٢٣٨ .

[4] سورة آل عمران ، من الآية: ١٣٣.

[5] المجموع شرح المهذب لـ الإمام أبى زكريا محى الدين بن شرف النووى ٥٤/٣ بتصرف ، الناشر زكريا على يوسف ، مطبعة الإمام بمصر .

[6] سورة البقرة ، من الآية: ٢١٩.

[7] المبسوط لـ شمس الدين السرخصى ١٤٨/١ بتصرف ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.

[8] عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وعن والدها تزوجها رسول الله -ﷺ- بمكة وشرفها الله تعالى قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل أنه تزوجها قبل سودة ، زوجه أياها أبوها فأصدقها مثلما أصدق سودة وكان لها يوم تزوجها ست سنين وما تزوج بكرا سواها ، وقبض -ﷺ- وهى بنت ثمان عشرة سنة وماتت فى خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين ولها سبع وستون سنة ودفنت بالبقيع .{ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لـ أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ١٦/٣ ، دار الثقافة لبنان ، تحقيق إحسان عباس، وانظر ترجمتها فى الإصابة ١٦/٨ وما بعدها ، والطبقات الكبرى، لـ محمد بن سعد بن منيع أبى عبد الله البصرى

إن كان رسول الله -ﷺ- ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات[1] بمروطهن[2] ما يعرفن من الغلس[3]"[4].

وأما المغرب فلحديث سلمة بن الأكوع[5] أن رسول الله -ﷺ- كان يصلى المغرب إذا غربت الشمس وتوارت[6] بالحجاب"[7].

وأما العشاء فتأخيرها أفضل لمن قدر عليه ، روى عن ابن عمر أنه قال : مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله -ﷺ- لصلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده فلا

الزهرى ٥٨/٨ وما بعدها ، دار صادر بيروت ، وانظر مناقبها فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لـ عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى ٦١/١ دار ابن كثير دمشق ١٤٠٦ . ط الأولى ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط .

(١) بالعين المهملة بعد الفاء أى متجللات ومتلففات { صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٣/٥ ، المطبعة المصرية ومكتباتها ١٩٢٤م} .

(٢) أى بأكسيتهن واحدها مرط بكسر الميم { صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٣/٥ ، ١٤٤ } .

(٣) هو بقايا ظلام الليل { صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٤/٥ } .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان ، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم ٢٦١/١ ، كما أخرجه فى نفس الجزء صـ ٢٦٢ كتاب الأذان باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مقامهن فى المسجد بلفظ " أن النبى- ﷺ- كان يصلى الصبح بغلس فينصرفن نساء المؤمنين لا يعرفن من الغلس أو لا يعرف بعضهن بعضا " كما أخرجه أيضا فى كتاب مواقيت الصلاة باب وقت الفجر { ١٩٠/١} بلفظ "كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله -ﷺ- صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة ، لا يعرفن أحدا من الغلس " كما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التبكير بالصبح فى أول وقتها وهو التغليس وبيان قدرة القراءة فيها ٤٤٦/١ .

(٥) سلمة بن الأكوع شهد مؤتة وهو من أهل بيعة الرضوان روى عدة أحاديث حدث عنه ابنه إياس ومولاه يزيد بن أبى عبيد وآخرون ، غزا مع النبى سبع غزوات وأردفه الرسول مرارا ومسح على وجهه مرارا واستغفر له مرارا وكان ممن يفتى بالمدينة ويحدثون وتوفى سنة أربع وسبعين { سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبى عبد الله ٣٢٦/٣- وما بعدها ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ - ط التاسعة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى .

(٦) استترت والمراد الشمس ولم يذكرها اعتمادا على إفهام السامعين { فتح البارى بشرح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، لـ الإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى كتاب مواقيت الصلاة باب وقت المغرب٢ /٥٢ ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، الثالثة ١٤٠٧هـ}.

(٧) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت المغرب دون ذكر غربت الشمس .كما أخرجه مسلم فى صحيحه واللفظ له كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس ٤٤١/١ ، رقم الحديث (٢١٦)}.

ندرى أى شيء شغله فى أهله أو غير ذلك ، فقال حين خرج:"إنكم تنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم ، ولولا أن يثقل على أمتى لصليت بهم هذه الساعة"[1].

قال الإمام النووى -رحمه الله- :

"ذكر فى الباب تأخير صلاة العشاء واختلف العلماء هل الأفضل تقديمها أم تأخيرها وهما مذهبان مشهوران للسلف وقولان لمالك والشافعى، فمن فضل التأخير احتج بهذه الأحاديث ، ومن فضل التقديم احتج بأن العادة الغالبة لرسول الله -ﷺ- تقديمها ، وإنما أخرها فى أوقات يسيرة لبيان الجواز أو لعذر"[2] ، وروى عن أنس[3]قال:"أخر النبى -ﷺ- صلاة العشاء إلى نصف الليل ثم صلى"[4].

وأما الظهر فإنها تأتى الناس على غفلة فيستحب تأخيرها قليلا حتى يتأهبوا ويجتمعوا فلقد روى عن أبى ذر الغفارى[5]قال : كنا مع رسول الله -ﷺ- فى سفر فأراد المؤذن أن يؤذن

---

[1] أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب وقت العشاء وتأخيرها ٤٤٢/١ رقم الحديث(٢٢) .

[2] صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٦/٥ .

[3] أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام خادم رسول الله نزيل البصرة ، روى عن الرسول وعن أبى بكر وعثمان وعبد الله بن رواحة وآخرين وعنه الحسن وسليمان التيمى وآخرون شهد مع النبى الحديبية وعمرته والحج والفتح وحنينا والطائف، وهو آخر من بقى بالبصرة من أصحاب رسول الله ،مات وهو ابن مائة وسبع سنين .{ تهذيب التهذيب لـ أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى ٣٢٩/١وما بعدها، دار الفكر بيروت ١٤٠٤-١٩٨٤ ط الأولى }.

[4] أخرجه البخارى فى صحيحه ،كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت العشاء إلى نصف الليل ، وقال أبو برزة كان رسول الله يستحب تأخيرها ١٨٩/١، والحديث ذكر مختصرا والباقى هو " ثم صلى ثم قال قد صلى الناس وناموا ، أماإنكم فى صلاة ما انتظرتموها "}.

[5] أبو ذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة على المشهور، أسلم قديما بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة ، وهو أول من حيا الرسول بتحية الإسلام ثم رجع إلى بلاده وقومه فكان هناك حتى هاجر رسول الله إلى المدينة فهاجر بعد الخندق، ثم لزم النبى حضرا وسفرا ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، ومات فى خلافة عثمان بالزبدة فى ذى الحجة { البداية والنهاية لـ ابن كثير ١٦٥/٧ ، مكتبة المعارف بيروت ، وانظر تاريخ مدينة دمشق لـ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعى ١٧٤/٦٦- ١٧٥ . دار الفكر بيروت ١٩٩٥ تحقيق محب الدين أبى سعيد عمر بن غرامة العمرى }.

للظهر فقال النبى -ﷺ- أبرد[1]، ثم أراد أن يؤذن فقال أبرد ثم رأينا فى التلول[2] قال النبى -ﷺ-: إن شدة الحر من فيح جهنم فإذا اشتد فأبردوا بالصلاة"[3].

وأما العصر فتقديمها أفضل ، ولا خلاف فى مذهبنا أن تأخير الصلاة رجاء الجماعة أفضل من تقديمها ، فإن فضل الجماعة معلوم وفضل الوقت مجهول وتحصيل المعلوم أولى"[4].

وخلاصة أقوال الفقهاء واختلافهم فى الأفضلية فى أداء الصلاة ، أهى أول الوقت ؟ أم الأفضلية فى آخره؟

إن الشافعية قالوا: الأفضل هو الأداء فى أول الوقت ، لأن فيه إحرازا للطاعة قبل أن يعترضه عذر يمنعه من الأداء ، أما الحنفية فقالوا : الأفضل الأداء فى آخر الوقت لأن فيه انتظارا للصلاة وتكثيرا للجماعة وإظهارا لمعنى التيسير .

أما المالكية ففصلوا القول بأن الأفضل فى الصبح والعصر والمغرب الأداء فى أول الوقت ، وأما العشاء والظهر فالأفضل التأخير .

والرأى الأولى بالقبول والاعتبار فى هذه المسألة :أن الصلاة متى دخل وقتها فالأفضل المسارعة بأدائها ، فإن تعذر عليه الأداء فى أول الوقت فليصلها فى آخره ، فلا يكلف الله نفسا

---

(1) وقت الإبراد هو ما إذا انحطت قوة الوهج من حر الظهيرة { فتح البارى كتاب مواقيت الصلاة باب الإبراد بالظهر فى شدة الحر ٢/٢٠} .

(2) جمع تل بفتح المثناة وتشديد اللام كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل أو نحو ذلك ، وهى فى الغالب منبطحة غير شاخصة فلا يظهر لها ظل إلا إذا ذهب أكثر وقت الظهر ، وقد اختلف العلماء فى غاية الإبراد فقيل حتى يصير الظل ذراعا بعد ظل الزوال وقيل ربع قامة وقيل ثلثها وقيل نصفها وقيل غير ذلك { فتح البارى كتاب مواقيت الصلاة باب الإبراد بالظهر فى السفر ٢/٢٦ }.

(3) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب مواقيت الصلاة ، باب الإبراد بالظهر فى السفر ١/١٨١ .

(4) الجامع لأحكام القرآن لـ القرطبى المجلد الأول ١١٢-١١٣ بتصرف دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، وينظر أحكام القرآن لـ أبى بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بـ ابن العربى ١/٤٤-٤٥ دار المعرفة بيروت ، لبنان ، تحقيق / على محمد البجاوى .

إلا وسعها ، فالمسارعة إليها من باب الأفضلية فى أداء الوجب لاسيما وقد قال تعالى:"**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**"[1].

وخلاصة القول أن قوله تعالى " فاستبقوا الخيرات " تحثنا على الاستباق والمبادرة والمسارعة إلى فعل كل نوع من أنواع البر الموصل لثواب الله ؛ ولذا رغب الله عباده بالاستباق فقال فى ختام الآية:"**فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير** "، قال الإمام الألوسى -رحمه الله-:".... فيه حث على الاستباق بالترغيب والترهيب وهو على حد قوله تعالى" **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله**.... الآية"[2]أى فى أى موضع تكونوا فى أعماق الأرض وقمم الجبال يقبض الله تعالى أرواحكم ، وقوله تعالى:" **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**[3]"[4]ففيها حث على الاستباق باغتنام الفرصة ، فإن الموت لا يختص بمكان دون مكان"[5].

كما دعا الله -سبحانه وتعالى- عباده إلى المسارعة إلى فعل ما يوجب المغفرة فقال -ﷻ- "**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة** "[6] .

والمسارعة فى الآية:المبادرة ، قال الراغب: "السرعة ضد البطء ويستعمل فى الأجسام والأفعال ، يقال سرع فهو سريع ، وأسرع فهو مسرع"[7]،قال ابن منظور: "سرع يسرع سراعة وسرعا وسرعا وسرعا وسرعة فهو سرع وسريع وسراع "[8] .

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨ .

(2) سورة لقمان ، من الآية: ١٦ .

(3) شاد الرجل بناءه يشيده شيدا إذا رفعه وإذا طلاه بالشيد وهو ما يطلى به البناء من الكلس والجص وغيره ويقال أيضا قد أشاد الرجل بناءه ، وأما فى الذكر فأشدت بذكر فلان لا غير : إذا رفعت من ذكره { معانى القرآن واعرابه للزجاج ٧٩/٢ ، ، تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبى ، الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م عالم الكتب}.

(4) سورة النساء ، من الآية: ٧٨ .

(5) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ١٥/٢، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان.

(6) سورة آل عمران، من الآية: ١٣٣ .

(7) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى {٢٣٠} الطبعة الأخيرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

(8) لسان العرب لابن منظور ١٩٩٤/٣ باب السين ، تحقيق عبد الله على الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلى ، دار المعارف، القاهرة .

ومعنى الآية كما قال الإمام الرازى:" سارعوا إلى ما يوجب مغفرة من ربكم ، ولا شك أن الموجب للمغفرة ليس إلا فعل المأمورات وترك المنهيات ، فكان هذا أمرا بالمسارعة إلى فعل المأمورات وترك المنهيات"[١].

هذا ولقد ذكر المفسرون أقوالا عدة عند تفسير قوله تعالى (مغفرة): قيل المراد الإسلام ، وقيل:أداء الفرائض ، وقيل:الهجرة ، وقيل:الجهاد ، وقيل:التكبيرة الأولى ، وقيل:الصلوات الخمس ، وقيل:جميع الطاعات ، وقيل:بادروا إلى التوبة من الربا والذنوب ، والأولى ما تقدم من وجوب حمله على أداء جميع الطاعات ، والتوبة عن جميع المحظورات ؛ لأن اللفظ عام فلا وجه فى تخصيصه[٢] .

فالآية إنما تدعو إلى المبادرة إلى فعل جميع ما أمر الله به ، وترك جميع ما نهى الله عنه ، كما تدعو إلى التوبة من الذنوب قبل مفاجأة الموت، الوقت الذى لا ينفع فيه ندم – قال الإمام القشيرى[٣] -رحمه الله- : " الناس فى المسارعة على أقسام فالعابدون يسارعون بقدمهم فى الطاعات ، والعارفون يسارعون بهممهم فى القربات ، والعاصون يسارعون بندمهم بتجرع الحسرات ، فمن سارع بقدمه وجد مثوبته ، ومن سارع بهممه وجد قربته ، ومن سارع بندمه وجد رحمته"[٤].

وكما دعا الله -ﷻ- إلى المسارعة لما يوجب مغفرته دعا كذلك إلى المسارعة إلى الجنة فقال:"وجنة عرضها السماوات والأرض" "أى سارعوا إلى جنة ، وإنما فصل بين المغفرة والجنة ؛ لأن المغفرة هى إزالة العقاب ، والجنة هى حصول الثواب؛ وقيل إشعارا بأنه لابد من المسارعة بالتوبة الموجبة للمغفرة ، وذلك بترك المنهيات والمسارعة إلى الأعمال الصالحة

---

[١] مفاتيح الغيب للرازى المجلد الخامس ٥/٩ ، دار الكتب العلمية ، بيرت ، لبنان.

[٢] مفاتيح الغيب للرازى المجلد الخامس ٥/٩.

[٣] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابورى القشيرى ، من بنى قشير بن كعب ، أبو القاسم ، شيخ خرسان فى عصره ، كانت اقامته بنيسابور وتوفى فيها ، من كتبه التيسير فى التفسير ولطائف الإشارات والرسالة القشيرية ، توفى سنة ٤٦٥هـ ٣٠٧٢م (الأعلام للزركلى ٥٧/٤).

[٤] لطائف الإشارات لـ الإمام القشيرى ١/ ٢٧٧ ، تحقيق د/ ابراهيم بسيونى ، ط الثانية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م .

المؤدية إلى الجنة "[1] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة الحديد "**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**"[2].

والجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن ثم كان الواجب على الإنسان المسارعة إليها والتنافس فى الوصول إلى نعيمها قال تعالى:"**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**"[3] أى وفى ذلك فليرغب الراغبون وقيل الفاء بمعنى إلى أى وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون فى العمل ، ونظيره"**لمثل هذا فليعمل العاملون**"[4][5] ، قال صاحب البصائر:" نافست فى الشيء إذا رغبت فيه على وجه المبادرة فى الكرم ، وتنافسوا فيه أى رغبوا "[6].

وأصل التنافس:"التشاجر على الشيء والتنازع عليه بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه ، يقال:نفست الشيء عليه أنفسه نفاسة: أى ضننت به ولم أحب أن يصير إليه"[7].

والمنافسة المطلوبة هى التى : تكون فى فعل الخيرات للوصول إلى النعيم الدائم لا النعيم الزائل ، قال الإمام الرازى:"هذه الآية فيها إشارة إلى أن التنافس يجب أن يكون فى مثل هذا النعيم العظيم الدائم لا فى النعيم الذى هو مكدر وسريع الفناء"[8].

---

[1] تفسير الخازن ٢٩٦/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

[2] سورة الحديد ، من الآية:٢١.

[3] سورة المطففين ،الآية:٢٦.

[4] سورة الصافات، الآية:٦١ .

[5] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد العاشر ١٩/ ١٧٤ .

[6] بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز ، لـ الفيروز آبادى ، ١٠١/٥ ، المكتبة العلمية ، بيروت- لبنان ، تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوى ، وينظر لسان العرب لابن منظور ٤٥٠٣/٦ باب النون.

[7] فتح القدير الجامع بين علمى الرواية والدراية من علم التفسير لـ الشوكانى ٤٠٣/٥ ، دار الفكر بيروت ، وينظر الوسيط فى تفسير القرآن المجيد لـ أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ٤٤٨/٤-٤٤٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، تحقيق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ / على محمد معوض ، والدكتور /أحمد محمد صيرة ، والدكتور / أحمد عبد الغنى الجمل ، والدكتور / عبد الرحمن عويس.

[8] مفاتيح الغيب للرازى ، المجلد السادس عشر ، ٩١/٣١ بتصرف .

"فالذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر أو جل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون فى شيء حقير ، قليل ، فان ، قريب ، والدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة ، ولكن الآخرة ثقيلة فى ميزانه ، فهى إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها ، والمسابقة.. فإن عمر المرء فى هذه العاجلة محدود وعمره فى الآجلة لا يعلم نهايته إلا الله ، وإن متاع الدنيا فى هذه الأرض محدود ، ومتاع الجنة لا تحده تصورات البشر، وإن مستوى النعيم فى هذه الدنيا معروف ، ومستوى النعيم هناك يليق بالخلود !فأين مجال من مجال ؟ وأين غاية من غاية ؟ حتى بحساب الربح والخسارة فيما يعهد البشر من حساب ؟! ألا أن السباق إلى هناك " وفى ذلك فليتنافس المتنافسون "[1].

وهنا نقطة هامة يجب الوقوف عليها ؛ حتى لا يختلط الأمر على كثير من الناس وهى أن هناك فرقا بين المنافسة والحسد .

فالحسد:" خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ، ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز به دونها ، وتتمنى أن لوفاته كسبها حتى يساويها فى العدم ، قال تعالى :" **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء**"[2].

وقال:" **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق**"[3].

أما المنافسة فهى المبادرة إلى الكمال الذى تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه ، فهى من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر ، وأصلها من الشيء النفيس الذى تتعلق به النفوس طلبا ورغبة ، فتنافس فيه كل من النفسين الأخرى ، وربما فرحت إذا شاركتها فيه ..

---

(1) فى ظلال القرآن لسيد قطب ، المجلد السادس ، ٣٨٥٩/٣٠ ، ٣٨٦٠ ، بتصرف ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الأولى ١٩٧٢م ، الطبعة الشرعية الرابعة والعشرون ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

(2) سورة النساء ، من الآية: ٨٩ .

(3) سورة البقرة ، من الآية: ١٠٩.

فالمتنافسان كعبدين بين يدى سيدهما يتباريان ويتنافسان فى مرضاته ، ويتسابقان إلى محبتــه ، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه ، وكل منهما يحب الآخر ويحرضــه علــى مرضــاة سيده[1]" وهذا هو شأن المؤمنين الموحدين بالله ، ولذلك قال تعالى مادحا إياهم :"**أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**"[2] ، وهذه الآية وردت بعد وصف المؤمنين بصفات عدة ، قــال تعالى :" **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون {} والذين هم بآيات ربهم يؤمنون {} والــذين هم بربهم لا يشركون {} والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلــى ربهــم راجعــون {} أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**"[3].

قال الشيخ مصطفى المراغى:"أولئك الذين جمعوا هذه المحاسن يرغبون فى الطاعــات أشد الرغبة ، فيبادرونها لئلا تفوتهم إذا هم ماتوا ، ويتعجلون فى الدنيا وجوه الخيرات العاجلــة التى وعدوا بها على الأعمال الصالحة ، فى نحو قوله :"**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثــواب الآخرة** "[4]وقوله "**وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**"[5][6].

ويؤخذ من كلام الشيخ / مصطفى المراغى أن هؤلاء يسارعون إلى الخير لئلا يفوتهم فعله بالموت ، و كذلك يسارعون إلى فعل الخير لينالوا الخيرات والثواب العاجل الذى وعد الله به عباده على الأعمال الصالحة ، ولينالوا كذلك الثواب الآجل الذى ادخره الله لعباده الصالحين ، وبهذا يكونون قد نالوا ثواب الدنيا والآخرة ، لأنهم قوم آمنوا بالله وأيقنوا صدق وعده ، ومــلأ الإيمان كيانهم فملأه نورا يطلع عليهم كلما أظلمت سماؤهم ، وأظلتها سحب الفتن والأهــواء ، وفى هذا يقول د/عبد الكريم الخطيب :"إن هؤلاء المؤمنين الذين تحققت فــيهم تلــك الصــفات

---

[1] الروح لابن القيم الجوزية صـــ٢٥١-٢٥٢ ، بتصرف- ط دار الكتب العلميــة ، بيــروت ١٩٧٥-١٣٩٥ . وينظر الضوء المنير على التفسير ٣٠٨/٦ ، جمعه /على الحمد المحمد الصالحى من كتب الإمام المحــدث المفسر الفقيه شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى المعروف بابن القيم الجوزيــة ، الناشر مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام.

[2] سورة المؤمنون الآية: ٦١ .

[3] سورة المؤمنون ، الآيات : ٥٦:٦١ .

[4] سورة آل عمران ، من الآية:١٤٨ .

[5] سورة العنكبوت ، الآية:٢٧ .

[6] تفسير المراغى لـــ أحمد مصطفى المراغى ٣٤/١٧ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

جميعها ، أو تحقق فيهم بعضها دون بعض ، هم أهل لأن يسددوا ويرشدوا ، وأن يكونوا يوما من السباقين إلى الخير ماداموا فى صحبة الإيمان بالله ، ذلك الإيمان الذى يقيم فى كيانهم نورا يطلع عليهم كلما أظلمت سماؤهم ، وظللتها سحب الفتن والأهواء .."[١] . وبعد أن بين الله أن هؤلاء يسارعون فى فعل الخيرات ، بين كذلك أنهم سبقوا الأمم إليها وأنهم أسبق من غيرهم إلى ثوابها فقال :"وهم لها سابقون " أى إليها ، قيل :سبقت لهم من الله السعادة ، وقيل: سبقوا الأمم إلى الخيرات"[٢].

قال النحاس[٣] :"كل من تقدم فى شىء فقد سابق إليه وكل من تأخر عنه فقد سابقه وفاته"[٤].

وقيل: إن معنى قوله " وهم لها سابقون "أى "أنهم معدون لفعل مثلها من الأمور العظيمة كقولك لمن يطلب منه حاجة لا ترجى من غيره: أنت لها"[٥].

ويمكن القول: إن قوله " وهم لها سابقون"تحتمل فى المعنى جميع ما ذكر ، فإنهم سابقون غيرهم إلى ثوابها ، وأيضا هم مطيقون لها معدون لفعلها ، ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة فاطر :" **ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** "[٦].

---

[١] التفسير القرآنى للقرآن ، لـ عبد الكريم الخطيب ،المجلد الخامس ، ١٨ / ١١٤٩ ، دار الفكر العربى .

[٢] تفسير الخازن ٣٠٧/٣ ، وينظر معانى القرآن لـ أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء ، ٢ / ٢٣٨ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة تحقيق أ/ محمد على النجار .

[٣] أحمد بن محمد بن إسماعيل المصرى ، أبو جعفر النحاس ، مفسر وأديب مولده ووفاته بمصر ، صنف تفسير القرآن واعرابه ، توفى سنة ٣٣٨هـ ، ٩٥٠م (الأعلام للزركلى ٢٠٨/١ الطبعة العاشرة).

[٤] إعراب القرآن لـ أبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ١١٧/٣ ، تحقيق د/ زهير غازى زاهد ، عالم الكتب ، بيروت .

[٥] تفسير المراغى ٣٤/١٧ .

[٦] سورة فاطر ، من الآية: ٣٢ .

ولقد وردت أقوال كثيرة فى تفسير السابق منها :

١-من رجحت حسناته على سيئاته .

٢-من مات تائبا من كبيرة أو صغيرة أو لم يصب ذلك .

٣-من همه المولى.

٤-من طلب المناجاة.

٥-تارك العلاقة.

٦-من شغله معاده عن معاشه.

٧-من يأتى بالفرائض رضا واحتسابا .

٨-المحافظ على الوقت والجماعة .

٩-من غلب عقله شهوته .

١٠-من يأمر بالمعروف ويأتيه .

١١-ذو الفضل .

١٢-من باطنه خير من ظاهره .

وغير ذلك من الأقول الكثيرة التى وردت فى تفسير السابق [١].

ويمكن القول: إن السابقين قد جمعوا كل هذه الصفات لأنهم سباقون إلى فعل الخيرات ، وهذا هو حال المؤمنين الموقنين بالمولى -ﷻ- وكما مدحهم الله -ﷻ- فى كتابه العزيز ، مدح أيضا أهل الكتاب من اليهود الذين أسلموا فوصفهم بأنهم يسارعون إلى الخير ، قال تعالى : "

---

[١] ينظر روح المعانى للألوسى ١٩٦/٢٢ ،ومفاتيح الغيب للرازى ،المجلد الثالث عشر ، ٢٣/٢٦ .

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قآئمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون {} يؤمنـــون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولـــئك من الصالحين "[1].

روى عن ابن عباس [2] -رضي الله عنه- قال :

لما أسلم عبد الله بن سلام [3]وثعلبة بن سعية[4]وأسد بن عبيد[5]ومن أسلم من يهود فأمنوا وصدقوا ورغبوا فى الإسلام ، قالت أحبار يهود (أهل الكفر): ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله -عز وجل- فى ذلك قوله :" ليسو سواء من أهـــل الكتاب .....إلى قوله ...من الصالحين " [6].

---

[1] سورة آل عمران ، الآيات :١١٣ ، ١١٤ ، .

[2] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما الإمام العالم أبو العباس الهاشمى ابن عم رسول الله وأبو الخلفاء ، دعا له النبى أن يفهمه فى الدين ويعلمه التأويل ، توفى بالطائف سنة ثمان وستين { تذكرة الحفـــاظ لمحمد بن طاهر بن القسيرانى ٤٠/١-٤١ ، دار الصميعى ، الرياض ١٤١٥- ط الأولى تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ، وينظر معجم المؤلفين لـــ عمر رضا كحالة ، ٦٦/٦ دار إحياء التراث العربـــى ، بيـــروت لبنان.

[3] عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى أسلم عند قدوم النبى المدينة، شهد له النبى بالجنة ، شهد مع عمـــر فتح بيت المقدس ، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين { تهذيب التهديب لـــ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، ٢١٩/٥ ، دار الفكر بيروت ١٤٠٤هـــ ، ١٩٨٤ م ، الأولى}.

[4] ثعلبة بن سعية أحد الثلاثة الذين أسلموا يوم قريظة ، فمنعوا دماءهم وأموالهم ، توفى فى حياة النبـــى -ﷺ- (الوافى بالوفيات لـــ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ٩/١١ ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ، وتركى مصطفى (دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٤٢٠، ٢٠٠٠).

[5] أسد بن عبيد القرظى نزل هو وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية يو م قريظ فأسلموا ومنعوا دماءهم وأموالهم ، وخبرهم فى السير { الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن محمد بن عبد البر ٧٩/١ ، دار الجيل ،بيـــروت ، ١٤١٢ هـــ - الأولى تحقيق على محمد البجاوى }.

[6] أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٨٧/٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، دار النشـــر الموصـــل ، ١٤٠٤هـــــ - ١٩٨٣ م- ط الثانية ، المحقق حمد بن عبد المجيد السلفى ، وينظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لـــ الحـــافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ٣٢٧/٦ وقال رجاله ثقات ، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـــــ ، وأســـباب النزول لـــ أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى صـــ ٨٥ ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، الثانيـــة ١٩٨٥م .

فلقد وصفهم الله بأنهم قائمون يتلون آيات الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما وصفهم بمسارعتهم إلى فعل الخير وهو المشار إليه بقوله :" ويسارعون فى الخيرات " أى "التى يعملونها غير متثاقلين لمعرفتهم بقدر ثوابهم ، وقيل :" يبادرون بالعمل قبل الفوت " [١] .

فهم إنما يسارعون فى الخيرات غير متوانين وغير متثاقلين ، وفى الأمر نفسه يبادرون إليها خوف الفوت بالموت ومن ثم يعملون الصالحات دون كسل وتلكؤ .

ومن اللطائف البلاغية فى هذه الآية إيثار (فى) على (إلى) فى قوله"يسارعون فى الخيرات "مع أن المسارعة كثيرا ما تتعدى بإلى ؛ وذلك" للإيذان بأنهم مستقرون فى اصل الخير متقلبون فى فنونه ، لا أنهم حاجون منتهون إليها"[٢].

وخلاصة القول: إن المسارعة إلى فعل الخير هو أصل العبادات ومن ثم لا ينبغى للإنسان التباطؤ فى أدائها ، حتى لا يفوته خير عظيم إذا ما أتاه الموت بغتة ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى أرض تموت ، فعليه بالعمل فى وقته قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة..." **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون**"[٣] .

ففى هذه الآية "أمر الله عباده بالإنفاق مما رزقهم الله ، وأنعم به عليهم وحذرهم من الإمساك إلى أن يجىء يوم لا يمكن فيه بيع ولا شراء ولا استدراك نفقة ، كما قال تعالى:" **فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق**[٤]"[٥].

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى٤/١٧٦،١٧٧ ، دار الشعب ، القاهرة .

[٢] روح المعانى للألوسى ٣/٣٥ بتصرف .

[٣] سورة البقرة ، من الآية:٢٥٤ .

[٤] سورة المنافقون ، من الآية: ١٠ .

[٥] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، المجلد الثانى ٣ / ١٧٣ .

فالآية تدعوهم إلى المبادرة بالإنفاق قبل أن يأتى يوم القيامة ، وهو اليوم الذى لا ينفع فيه مال ، لكى يفتدى به من العذاب ، ولا ينفع فيه صحبة ولا شفاعة من أحد .

والذى عليه الأكثرون "أن الأمر فى هذه الآية عام فى كل الانفاقات سواء واجبة أو مندوبة ، أى حصلوا منافع الآخرة حينما تكونون فى الدنيا ، فإنكم إذا خرجتم من الدنيا لايمكنكم تحصيلها واكتسابها فى الآخرة ، والمقصود من الآية أن الإنسان يجىء وحده ولا يكون معه شىء مما حصله فى الدنيا ، قال تعالى:"**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم** [1]"[2].

فعلى الإنسان الإنفاق فى سبيل الله من هذا المال الذى أعطاه الله إياه فالمولى هو المالك الحقيقى له ، ومن ثم عليه أن يرده إلى مالكه ، وليعلم أنه بعد موته يرجع إلى خالقه بلا مال ولا جاه ، ولا ينفعه إلا ما أنفقه فى حياته وقبل مماته .

قال صاحب التفسير الواضح : " بادروا إلى الإنفاق فى سبيل الله مما تناله أيديكم ، ابتغاء مرضاة الله وطلبا لرضوانه ، وأنتم الآن فى فسحة من العمل ، وغدا سيأتى يوم لا تتمكنون فيه من الإنفاق أصلا مع أنه مطلوب ، إذ لا بيع فى ذلك اليوم ولا شراء ولا كسب بأى نوع من أنواع المبادلة ، ولا يوجد ما يناله الإنسان من الصداقة والخلة و الشفاعة ، فهذا هو يوم الجزاء والثواب والعقاب ، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، يوم يظهر فيه فقر العباد إلى الواحد القهار"[3].

فليحذر الإنسان من الغفلة وليأخذ بطوق النجاة قبل أن يأتى اليوم الذى لا فداء فيه ولا صداقة ولا شفاعة ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ، نسأل الله النجاة فى ذلك اليوم .

---

[1] سورة الأنعام ، من الآية: ٩٤ .

[2] مفاتيح الغيب للرازى المجلد الثالث ، ١٧٤/٦-١٧٥ بتصرف.

[3] التفسير الواضح ، د/ محمد محمود حجازى المجلد الأول ، ١٦٨/٣ ، الطبعة الثانية عشر ، ٢٠٠٣م ١٤٢٤ هـ ، دار التفسير للطبع والنشر .

هذه هى الآيات القرآنية التى تحث على المبادرة إلى فعل الخير وغيرها الكثير وكلها تدور حول فلك واحد وهو الدعوة إلى المسارعة للخير والاستعجال إليه ، ولقد كان للسنة النبوية قدر واف فى الدعوة إلى فعل الخير والمبادرة إليه ، فلقد روى عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال "بادروا بالأعمال سبعا [1] هل تنظرون إلا فقرا منسيا[2] أو غنى مطغيا[3] أو مرضا مفسدا [4] أو هرما مفندا [5] أو موتا مجهزا [6] أو الدجال ، فشر غائب ينتظر أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر[7]"[8].

وروى أيضا عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ، ويمس كافرا ، أو يمس مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا"[9].

قال الإمام النووى :"معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا

---

[1] أى سابقوا وقوع الفتن بالاشتغال بالأعمال الصالحة واهتموا بها قبل وقوعها .{ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، لـ أبى العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركافورى ، ٥٩٢/٦ ، مؤسسة قرطبة الطبعة الثانية ، قام بنشره محمد عبد المحسن الكتبى ، صاحب المكتبة السلفية ، المدينة المنورة }.

[2] وفى المشكاة ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا ....إلخ . قال القارىء : خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين فى أمر دينهم أى متى تعبدون ربكم فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى ؟ لعل أحدكم لا ينتظر إلا غنى مطغيا .انتهى ، وقوله "منسيا " من باب الأفعال ، ويجوز أن يكون من باب التفعيل ولكن الأول أولى لمشاكلة الأولى ، أى جاعل صاحبه مدهوشا ينسيه الطاعة من الجوع والعرى والتردد فى طلب القوت { تحفة الأحوذى ٥٩٢/٦ ، ٥٩٣ }.

[3] أى موقع فى الطغيان { تحفة الأحوذى ٥٩٣/٦ }.

[4] أى للبدن لشدته او للدين لأجل الكسل الحاصل به { تحفة الأحوذى ٥٩٣/٦ }.

[5] أى موقع فى الكلام المحرف عن سنن الصحة من الخرف والهزيان { تحفة الأحوذى ٥٩٣/٦ } .

[6] بجيم وزاى من الإجهاز أى قاتل بغتة من غير أن يقدر على توبة ووصية { تحفة الأحوذى ٥٩٣/٦ } .

[7] أى أكثر مرارة من أكثر ما يكابده إنسان فى الدنيا من الشدة لمن غفل فى الدنيا عن أمرها ولم يعد لها قبل حلولها { تحفة الأحوذى ٥٩٣/٦ }.

[8] أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد ، باب ما جاء فى المبادرة بالعمل ٥٥٢/٤ رقم الحديث ٢٣٠٦ ، وقال عنه هذا حديث حسن غريب ، دار الحديث ، القاهرة ، تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة خادم السنة .

[9] أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتب الإيمان باب الحث على المبادرة قبل تظاهر الفتن ١١٠/١ ، رقم الحديث (١٨٦) ، كما أخرجه الترمذى فى سننه ، كتب الفتن ، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم ٤٨٧/٤ ، رقم الحديث (٢١٩٥) ، وقال هذا حديث حسن صحيح.

المقمر ، ووصف النبى -ﷺ- نوعا من شدائد تلك الفتن ، وهو أن الرجل يمس مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه ، وهذا لعظم الفتن يتقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب والله أعلم"[١].

فهذه الأحاديث النبوية الصحيحة الشريفة وغيرها الكثير تحث على المبادرة إلى فعل الخيرات وتدعو إليها ، وخير من امتثل لهذه الدعوة القرآنية والنبوية صحابة رسول الله -ﷺ- فقد كانوا -رحمة الله عليهم- يتنافسون فيما بينهم فى فعل الخيرات و كانو سباقين إلى كل مكرمة ؛ ولقد أثنى الله -ﷻ- عليهم فى كثير من الآيات منها إضافة إلى ما سبق من الآيات قوله تعالى:"**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**"[٢].

يقول صاحب التفسير الواضح :" لقد أكرم الله أمة محمد -ﷺ- وجعلهم خير أمة أخرجت للناس وجعل خيارهم أصحابه -ﷺ- وكان أعلاهم فى الشرف هم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار"[٣].

ولقد اختلف فى من هم (السابقون الأولون) فقيل:"هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل هم الذين شهدوا بيعة الرضوان[٤]وهى بيعة الحديبية ، وقيل هم أهل بدر"[٥] واختار الإمام الرازى : أنهم هم السابقون فى الهجرة حيث قال ما نصه :" والصحيح عندى أنهم السابقون فى الهجرة وفى النصرة ، والذى يدل عليه أنه ذكر كونهم سابقين ، ولم يبين أنهم سابقون فى ماذا ، فبقى اللفظ مجملا ، إلا أنه وصفهم بكونهم مهاجرين وأنصارا ، فوجب

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٣/٢.

[٢] سورة التوبة ، من الآية: ١٠٠ .

[٣] التفسير الواضح ٨/٢ بتصرف .

[٤] وكانت فى السنة السادسة من ذى القعدة عندما خرج رسول الله لعمرة الحديبية فى سبعمائة رجل وبعث عثمان ليخبر أهل مكة أنه لم يأت لحرب ولا مكاشفة وإنما زائرا فحبسوه وبلغ النبى مقتل عثمان فدعا إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة وكانت البيعة على الموت { البدء والتاريخ ، لـ المطهر بن طاهر المقدسى ، ٢٢٤/٤ بتصرف ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد }.

[٥] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد الرابع ١٥٠/٨ دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م .

صرف ذلك اللفظ إلى مابه صاروا مهاجرين وأنصارا ، وهو الهجرة والنصرة ، أيضا السبق إلى الهجرة طاعة عظيمة من حيث أن الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع ، فمن أقبل عليه أولا صار قدوة لغيره فى هذه الطاعة ، كما أن الذين سبقوا فى النصرة فازوا بمنصب عظيم ؛ فلهذه الوجوه يجب أن يكون المراد والسابقون الأولون فى الهجرة"[1].

ويمكن القول إن الصحابة -رضوان الله عليهم- سواء ، منهم من شهد بدرا ، أو سبق فى الهجرة أو حضر بيعة الرضوان سباقون إلى كل فضل ، ويكفيهم فضلا أنهم سبقوا غيرهم فى الإسلام "**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**"[2] وأقاموا دعائم الإسلام ووضعوا أسس الدين ، فهم أساس الدين وهم من نصروا رسول الله -ﷺ- فكانوا قدوة لنا فى السبق والتنافس فى فعل الطاعة ، قال تعالى :

"**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**"[3].

وكان "لأبى بكر الصديق -رضي الله عنه- الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله -عز وجل- وإنه لم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها"[4].

وأكثر المفسرين على أن المراد بالفتح ، فتح مكة ، وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم ؛ لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام ، وفعل ذلك على المنفقين حينئذ أشق والأجر على قدر النصب"[5].

---

[1] مفاتيح الغيب للرازي ، المجلد الثامن ، ١٣٤/١٦ ، بتصرف ، ط.دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

[2] سورة الحشر، من الآية: ١٠ .

[3] سورة الحديد، من الآية: ١٠ .

[4] تفسير القرآن العظيم لـ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى أبى الفداء ٣٠٨/٤ بتصرف يسير ، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ .

[5] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد التاسع ، ١٥٦/١٧ ، بتصرف.

فالآية وردت مقارنة بين من أنفق فى وقت الإسلام والمسلمون فيه ضعفاء وفى حاجة إلى المال ، والإنفاق شاق على النفس - و من أنفق بعد عزة الإسلام وقوته ، فشتان بينهما !!

والاستواء المذكور فى الآية معناه فى اللغة:" المعارضة والمقابلة أى يقابل هذا ذلك"[1].لأن الآية مقابلة بين من أنفق قبل الفتح ومن أنفق بعده .

يذكر الدكتور عبد الكريم الخطيب فى هذا الشأن مانصه:"إن الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح إنما كانوا ينفقون ويقاتلون ابتغاء وجه الله ، من غير أن ينتظروا مغانم لم تقع لأيديهم ، ومن غير أن يكون لسلطان الإسلام قوة قاهرة تدعوهم إليه ، أو سلطان ظاهر يغويهم به ، وإنما أنفقوا ما أنفقوا من أموال ونفوس ؛ بما وقع فى نفوسهم من إيمان بالله وطمع فى رضوانه ، وأما الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا فى سبيل الله فإنما ينفقون ويقاتلون وقد أنفق الناس جميعا وقاتلوا سواء منهم من نظر إلى سلطان الإسلام أو لم ينظر ، وشتان بين منفق ومنفق ، ومقاتل و مقاتل ، فتلك حال وهذه حال ، ولكن بين الحالين حساب وتقدير"[2].

فالآية مدح لكبار الصحابة الذين أقاموا الدين على أعناقهم وسبقوا غيرهم إلى أعمال الخير والفضل . ولقد امتلأت كتب السنة النبوية بالعديد من المواقف التى توضح لنا منافسة الصحابة فى وجوه الخير نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما روى عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال :"أمرنا رسول الله أن نتصدق فوافق ذلك مالا ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما ؟ قال : فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله :"ما أبقيت لأهلك"؟ فقلت مثله ، وأتى أبو بكر الصديق بكل ما عنده فقال:" يا أبا بكر : ما أبقيت لأهلك "؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت والله لا أسبقه إلى شيء أبدا"[3].

---

[1] بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادى ، ١٠٦/٢ ، المكتبة العلمية ، بيروت.

[2] التفسير القرآنى للقرآن ٧٥٥/٧ ، ٧٥٦ ، دار الفكر العربى .

[3] أخرجه الترمذى ، كتاب المناقب ٦١٥/٥ ، رقم الحديث(٣٦٧٥)، وقال عنه الترمذى هذا حديث حسن صحيح { دار الحديث ، القاهرة ، تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة خادم السنة }.

ويؤخذ من هذا الحديث "أن المسابقة والمغالبة فى أعمال الخير الموصلة إلى الجنة سنة من الطاعات ومنها المكرمات ، بخلاف الدنيا فإن ذلك فيها محاسدات مذمومة ، وحالات مكروهة"[1].

وروى أيضا عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال : "مر رسول الله- ﷺ- وأنا معه وأبو بكر -رضي الله عنه- على عبد الله بن مسعود[2] وهو يقرأ فقام فسمع قراءته ، ثم ركع عبد الله وسجد ، قال : فقال رسول الله -ﷺ- :"سل تعطه ، سل تعطه" قال : ثم مضى رسول الله -ﷺ- وقال :" من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ من ابن أم عبد" قال : فأدلجت لعبد الله بن مسعود لأبشره بما قال رسول الله -ﷺ- فلما ضربت الباب أو قال فلما سمع صوتى قال :ما جاء بك هذه الساعة ؟قلت: جئت أبشرك بما قال رسول الله -ﷺ- قال : قد سبقك أبو بكر -رضي الله عنه- قلت إن يفعل فإنه سباق بالخيرات ، ما استبقنا خيرا قط إلا وسبقنا إليه أبو بكر[3].

كما روى عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال النبى -ﷺ-: " عرضت على الأمم فأخذ النبى يمر معه الأمة[4] والنبى يمر معه النفر ، والنبى يمر معه العشرة ، والنبى يمر معه الخمسة ، والنبى يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد[5] كثير قلت :" يا جبريل هؤلاء أمتى "؟ قال لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت :" ولم "؟ قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ،

---

[1] عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى للإمام الحافظ بن العربى المالكى ، ١٣٩/٣ ، أبواب المناقب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

[2] عبد الله بن مسعود يكنى بأبى عبد الرحمن ، أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم ويقال كان سادسا فى الإسلام ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، وكان صاحب سر رسول الله ، ووساده وسواكه ونعليه وطهوره فى السفر ، مات سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين (صفة الصفوة لـ الإمام أبى الفرج الجوزى ، المجلد الأول ٢٠٨/١ ، ضبطه / إبراهيم رمضان ، سعيد اللحام ، دار الكتب العلمية- بيروت ، لبنان).

[3] أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ٣٨/١ مؤسسة قرطبة مصر ، كما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٧١/٩.

[4] أى العدد الكثير { فتح البارى ٤١٥/١١ } .

[5] السواد ضد البياض وهو الشخص الذى يرى من بعيد ووصفه بالكثير إشارة إلى أن المراد بلفظ الجنس لا الواحد { فتح البارى ٤١٥/١١ } .

فقام إليه عكاشة بن محصن [1] فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام إليه رجل آخر قال : ادع الله أن يجعلنى منهم قال:سبقك بها عكاشة"[2].

وكثير من النماذج التى تزخر بها كتب السنة والتى وضحت تنافس الصحابة ومسارعتهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين .

---

[1] عكاشة بن محصن بن حرصان حليف بنى عبد شمس ، من السابقين الأولين ، شهد بدرا ، وقيل استشهد فى قتال أهل الردة قتله طليحة بن خولية { الإصابة ٤ / ٥٣٣ } .

[2] أخرجه البخارى فىصحيحه واللفظ له ، كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ٢٠٤٩/٤ ، كما أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ١٩٧/١- رقم الحديث (٣٦٧) ، عن أبى هريرة بلفظ أن النبى قال " يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب فقال رجل يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام آخر فقال :يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة " كما أخرجه فى نفس الكتاب والباب صـ١٩٨ حديث رقم (٣٧١) من حديث عمران قال : قال نبى الله "يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب" قالوا ومن هم يا رسول الله ؟ قال :" هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتوكلون" فقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم قال : "أنت منهم" ثم قام رجل آخر فقال يا نبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال :" قد سبقك بها عكاشة".

البحث الثانـــــى

نماذج لبعض الأمور التى يستحب فيها التعجيل

بعد الحديث عن بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التـــى تحـــث علـــى المسارعة إلى فعل الخيرات والتنافس فيها والاستعجال إليها ....

نستخلص من هذا أن العجلة لا يقتصر معناها على فعل الأمر قبل وقته المقدر له ، بـــل قد ترد بمعنى فعل الأمر فى أول وقته ، وحينئذ تصير ممدوحة مرغوبا فيها؛ ولذلك ورد تعريف العجلة فى الشرع بأنها " الإتيان بالفعل قبل الوقت المحدد له شرعا أو فى أول الوقت"[1].

فجمع التعريف بين قبل الوقت وهو مذموم وأول الوقت وهو ممدوح وهذا ما نعنيه، ولقد استحب التعجيل فى بعض الأمور بل قد يصل أحيانا إلى الوجوب ، وهذه الأمور وإن لم يرد فى بعضها نص صريح بالتعجيل ، إلا أن السنة النبوية الشريفة قد وضحته من خـــلال الأحاديـــث الصحيحة.

ـ وهى على سبيل المثال لا الحصر:

١- التعجيل بالتوبة:

تجب التوبة على كل مكلف على الفور عقب الذنب وقد دل على ذلك نصوص الكتـــاب والسنة وإجماع الأمة ، قال تعالى:" **إنما التوبة على الله للذين يعملون الســـوء بجهالـــة ثـــم يتوبون من قريب فأولـــئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما**"[2]

---

[1] الموسوعة الفقهية ١٢/ ٢٢١ مصطلح التعجيل ، وزارة الأوقاف الشئون الإسلامية ، ط الثالثة ١٤١٩ هـــ - ١٩٩٨ م ، ط دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع .

[2] سورة النساء ، الآية: ١٧.

قال الإمام القرطبى :" اتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين ؛ لقوله تعالى:"**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**[1]"[2].

ومعنى قوله ثم يتوبون من قريب كما قال ابن عباس والسدى[3] قبل المرض والموت ، وقيل قبل المعاينة للملائكة والسوق(النزع) ، قال علماؤنا-رحمهم الله-: وإنما صحت التوبة منه فى هذا الوقت ؛ لأن الرجاء باق ويصح الندم والعزم على ترك الفعل"[4].

فالله -سبحانه وتعالى – يقبل توبة العبد ما لم يغرغر مهما عظم ذنبه ، فهو سبحانه أرحم على عباده من الأم بولدها ، فقد روى عن ابن عمر أن النبى – قال : "إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر"[5] "فقوله (مالم يغرغر) من الغرغرة "أى مالم تبلغ الروح إلى الحلقوم، يعنى مالم يتيقن بالموت ، فإن التوبة يعد التيقن بالموت لا يعتد بها"(٦).

أما إذا بلغت الروح الحلقوم ، وأصبح الإنسان فى حكم الموات ، فحينئذ لا ينفعه ندم ولا توبة، قال الله تعالى:" **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما**"[7].

---

[1] سورة النور ، من الآية: ٣١.

[2] الجامع لاحكام القرآن لـ القرطبى ٩٠/٥ ، دار الشعب القاهرة ، وانظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ محمد بن علان الصديقى الشافعى الأشعرى ، ٧٨/١ وما بعدها ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

[3] إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة الهاشمى ، والسدى بضم المهملة وتشديد الدال نسبة إلى السدة وهى اللباب ، ويكنى أبا محمد ، توفى سنة سبع وعشرين ومائة (اللباب فى تهذيب الأنساب ، لـ عز الدين بن الأثيرالجوزى ١١٠/٢ ، مكتبة المتنبى ، بغداد ، وينظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ١٧٤/١).

[4] الجامع لاحكام القرآن لـ القرطبى ٩٢/٥، دار الشعب القاهرة.

[5] أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الدعوات ، باب فى فضل التوبة والإستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ٥٤٧/٥ رقم الحديث(٣٥٣٧) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

[6] تحفة الأحوذى ، ٥٢١/٩.

[7] سورة النساء ، الآية:١٨ .

قال القرطبى: "نفى أن يدخل فى حكم التائبين من حضره الموت وصار فى حين اليأس كما كان فرعون حين صار فى غمرة الماء والغرق ، فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان ؛ لأن التوبة فى ذلك الوقت لا تنفع لأنها حال زوال التكليف"[١].

ولقد وضح الإمام الغزالى[٢] أن التوبة إنما تجب على الفور ولا ينبغى للمرء التباطؤ فيها فيقول:"أما وجوبها على الفور فلايستراب فيه ؛ إذ معرفة كون المعاصى مهلكات من الإيمان ، وهو واجب على الفور المتقصى عن وجوبه ، وهو الذى عرفه معرفة زجره عن ذلك الفعل المكروه ، فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لا تتعلق بعمل بل هى من علوم المعاملة ، وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل ، فلا يقع التقصى عن عهدته مالم يصير باعثا عليه ، فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا لتركها ، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان"[٣].

فيجب على الإنسان التعجيل بالتوبة ،" قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء ولا ينفع بعده الاحتماء ، فلا ينجح بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين ، وتحق الكلمة عليه بأنه من الهالكين"[٤].

---

[١] الجامع لأحكام القرآن لـ القرطبى ٩٣/٥ ، دار الشعب القاهرة.

[٢] محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ، حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف ، من مصنفاته احياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، مقاصد الفلاسفة ،ولد سنة ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م وتوفي سنة ٥٠٥هـ-١١١١م(الأعلام ٢٢/٧ العاشرة ١٩٩٢م).

[٣] احياء علوم الدين ،لـ محمد بن محمد بن محمد الغزالى ، ٧/٤ ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[٤] احياء علوم الدين للغزالى ٨/٤ .

٢- التعجيل بتجهيز الميت:

يستحب التعجيل بتجهيز الميت ؛ مرعاة لحرمته وصونا له من التغير، وهذه سنة سنها النبى -ﷺ- فقد روى أنه-ﷺ- لما عاد طلحة بن البراء[١] قال:" إنى لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآتونى به وعجلوا ؛ فإنه لا ينبغى لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهرانى[٢]أهله"[٣].

فالحديث يدل على مشروعية التعجيل بالميت والإسراع فى تجهيزه[٤] .

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى-ﷺ- أنه قال:"أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها ، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم[٥]"[٦].

ففيه أيضا حث على التعجيل بالجنازة والإسراع فى المشى عند حملها.....

قال ابن عبد البر:"الذى عليه جماعة العلماء فى ذلك ترك الإبطاء وكراهة التمطيط ، والعجلة أحب إليهم من الإبطاء"[٧].

---

[١] طلحة بن البراء بن عمير قال فيه رسول الله إذا مات وصلى عليه " اللهم الق طلحة وأنت تضحك إليه وهو يضحك إليك ، وكان قد لقى رسول الله وهو غلام فجعل يلصق برسول الله ويقبل قدميه ويقول مرنى بما أحببت يارسول الله فلا أعصى لك أمرا ، ولما مات صلى رسول الله على قبره ودعا له { الاستيعاب ٧٦٣/٢}.

[٢] يقال بين ظهرانيهم أو أظهرهم والمراد : أنه أقام بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد إليهم { عون المعبود ٣٠٢/٨}.

[٣] أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الجنائز باب التعجيل بالجنازة وكراهة حبسها ٢٠٠/٣- رقم الحديث (٣١٥٩) ، عن الحصين بن وحوح .

[٤] عون المعبود ٨/ ٣٠٣ .

[٥] معناه أنها بعيدة من الرحمة فلا مصلحة لكم فى مصاحبتها { صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/٧ }.

[٦] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز باب السرعة بالجنازة ٣٩١/١ ، كما أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الجنائز باب الإسراع بالجنازة ٦٥٢/٢ ، رقم الحديث (٩٤٤).

[٧] التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ،لـ ابن عبد البر ، لـ أبى عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى ٣٤/١٦ ، وزارة عموم الأوقاف ،الشؤون الإسلامية المغرب ١٣٨٧م ، تحقيق / مصطفى بن أحمد العلوى ، محمد بن عبد الكبير البكرى.

وهذا مالم تفض السرعة إلى الإضرار بالميت أو المشقة على الحامل... وهذا ما أفاده الإمام الزرقانى حيث قال :"الحاصل أنه يستحب الإسراع ولكن بحيث أنه لا ينتهى إلى شدة يخاف منها حدوث مفسدة بالميت أو مشقة على الحامل أو المشيع"[1].

والتعجيل بتجهيز الميت ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية [2] والحنابلة [3] والشافعية[4] بشرط تيقن الموت و إلا فالتأخير أفضل ؛ وذلك احتياطا للروح الشريفة ؛ فإنه يحتمل الإغماء ، وقد قال الأطباء: إن كثيرين ممن يموتون بالسكتة ظاهرا يدفنون أحياءا ، لأنه يعسر إدراك الموت الحقيقى بها إلا على أفاضل الأطباء فيتعين التأخير فيها إلى ظهور اليقين بنحو التغيير ، لذلك ندب بعضهم التأخير لمن مات فجأة أو غرقا[5].

وخلاصة القول : إن الأفضلية فى التعجيل عند تيقن الموت إلا لضرورة أو مصلحة ، والله أعلم.

---

[1] ينظر شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك، لـ محمد بن عبد الباقى بن يوسف الزرقانى ، ١٢٧/٢، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ الأولى.

[2] ينظر حاشية رد المحتار على الدر المختار لـ ابن عابدين ١٩٣/٢، دار الفكر للطباعة ، بيروت ١٤٢١هـ.

[3] ينظر كشاف القناع عن متن الاقناع ، لـ منصور بن يونس بن إدريس البهوتى ٨٤/٢ ، دار الفكر بيروت ١٤٠٢ ، تحقيق / هلال مصيلحى .

[4] ينظر مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، لـ محمد الخطيب الشربينى ، ٢٣٢/١ ، دار الفكر بيروت .

[5] حاشية ابن عابدين ١٩٣/٢ بتصرف ، كشاف القناع ٨٤/٢ مغنى المحتاج ٢٣٢/١ .

٣- التعجيل بقضاء الدين:

يجب على المدين التعجيل بوفاء الدين عند استحقاقه، ويحرم على القادر المطل في سداده وهذا ما أخبر عنه -ﷺ- في قوله " مطل الغنى ظلم فإذا أتبع أحدكم على ملى فليتبع"[١].

قال ابن حجر:"والمعنى أنه من الظلم وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير عن المطل"[٢].

وأصل المطل كما جاء في اللسان:"التسويف والمدافعة بالعدة والدين وقيل المطل: المد ، مطل الحبل وغيره يمطله مطلا فأمطل"[٣] والمراد به هنا "تأخير ما استحق أداؤه بغيرعذر"[٤].

"والمطل هنا إما أن يكون من إضافة المصدر للفاعل وهذا ما اختاره الجمهور، والمعنى أنه يحرم على الغنى القادر أن يمطل بالدين بعد استحقاقه بخلاف العاجز ، وقيل هو من إضافة المصدر للمفعول ، والمعنى أنه يجب وفاء الدين ولو كان مستحقه غنيا ولا يكون غناه سببا لتأخير ما استحقه عنه ، وإن كان كذلك في حق الغنى فهو في حق الفقير أولى"[٥].

والقول الأول هو الموافق لظاهر الحديث ، قال ابن عبد البر:"المطل على الغنى حرام لا يحل إذا مطل بما عليه من الديون ، وكان قادرا على توصيل الدين إلى صاحبه ، وكان صاحبه طالبا له ، لأن الظلم حرام قليله وكثيره"[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتب الحوالات باب في الحوالة وهل يرجع فيالحوالة ٦٧٥/٢ ، كما أخرجه مختصرا في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، باب مطل الغنى ظلم ٧١٥/٢- رقم الحديث(٢٤٠٠) ، عن أبي هريرة .

[٢] فتح الباري ٥٤٣/٤ .

[٣] لسان العرب ٤٢٢٥/٦ مادة مطل ، باب الميم .

[٤] فتح الباري ٤/ ٥٤٣ .

[٥] فتح الباري ٤/ ٥٤٣ بتصرف .

[٦] التمهيد لابن عبد البر ٢٨٥/١٨ .

٤- التعجيل بتزويج البكر :

يستحب للولى إذا جاءه كفؤ ، أن يعجل بزواج ابنته البكر لحديث رسول الله -ﷺ- لعلى بن أبى طالب قال :" يا على ! ثلاث لا تؤخرها ، الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفؤا"[١].

والأيم بتشديد الياء المكسورة أى المرأة العزبة ولو بكرا يعنى التى لا زوج لها [٢] والكفؤ : المثل وفى النكاح أن يكون الرجل مثل المرأة فى الإسلام والحرية والصلاح والنسب وحسن الكسب والعمل[٣].

فمتى وجد الولى هذا الكفؤ فلا معنى للتأخير مراعاة لحقها .

---

[١] أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى تعجيل الجنائز ، ٣٧٨/٣ ، رقم الحديث ١٠٧٥ ، عن على بن أبى طالب وقال أبو عيسى :هذا حديث غريب وما أرى إسناده بمتصل وتعقب ميرك قائلا : رجاله ثقات والظاهر أن إسناده متصل [هامش تحفى الأحوذى ١٩٠/٤] كما أخرجه فى كتاب أبواب الصلاة ، باب ماجاء فى الوقت الأول من الفضل ، ٣٢٠/١ ، عن على بن أبى طالب ، كما ذكره الحاكم فى مستدركه ، كتاب النكاح ، ١٦٢/٢ ، ١٦٣ ، عن على بن أبى طالب وقال هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه وصححه الذهبى .

[٢] تحفة الأحوذى ١٩٠/٤.

[٣] تحفة الأحوذى ١٩٠/٤ .

٥- التعجيل فى تقديم الطعام للضيف :

كما يستحب التعجيل بضيافة الضيف إكراما له ، روى عن رسول الله -ﷺ- إنه قال " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[١].

ولقد ذكر الإمام الغزالى فى الإحياء آدابا خمسة لإحضار الطعام، فذكر منها تعجيل الطعام وقال :"ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضر فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير ، إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك ، فلا بأس فى التأخير"[٢].

ولنا فى كرم الضيافة من سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أسوة حسنة فقد جاءه ضيف فأكرمهم بتعجيل الطعام إليهم ، دل على ذلك قوله تعالى:"**فما لبث أن جاء بعجل حنيذ**"[٣] وقوله:"**فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين**"[٤].

قال الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية:"هذه الآية انتظمت آداب الضيافة ، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام ، بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فتى سمين مشوى ، فقربه إليهم لم يضعه وقال:اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم"[٥].

---

[١] أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره - ١٩٠٣/٤، رقم الحديث (٦٠١٨)عن أبى هريرة .

[٢] إحياء علوم الدين للغزالى ، ١٦/٢.

[٣] سورة هود ، من الآية : ٦٩.

[٤] سورة الذاريات ، الآية: ٢٦ .

[٥] تفسير القرآن العظيم ، لـ ابن كثير - ٤/ ٢٢٦

والروغان كما قال الإمام الرازى "يدل على السرعة ، والروغ بمعنى النظر الخفى أو الرواح المخفى"[1].

قال الراغب:"الروغ الميل على سبيل الاحتيال ، ومنه راغ الثعلب يروغ روغانا ، وطريق رائغ إذا لم يكن مستقيما كأنه يراوغ ، وراوغ فلان فلانا ، وراغ فلان إلى فلان مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال"[2].

قال ابن منظور:"راغ يروغ روغا وروغانا حاد ، وراغ إلى كذا أى مال إليه سرا"[3].

فقوله [فراغ] يدل على سرعة سيدنا إبراهيم فى الذهاب لأهله لإعداد الطعام لهم وهذا من أدب المضيف ، قال الإمام الألوسى :"تشعر الفاء فى قوله [فراغ] أنه عليه السلام بادر بالذهاب ولم يمهل ، وقد ذكروا إن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف ، حذرا من أن يمنعه الضيف أو يصير منتظرا"[4].

والخلاصة : أن إكرام الضيف والتعجيل بتقديم واجب الضيافة إليه سنة سنها الرسول – ﷺ– فيستحب الالتزام بسنته –ﷺ–.

قال الإمام الغزالى:"العجلة من الشيطان إلا فى خمسة ، فإنها من سنة رسول الله –ﷺ– إطعام الطعام ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب"[5].

---

[1] مفاتيح الغيب للرازى ، المجلد الرابع عشر ، ٢٨ / ١٨٤ .

[2] المفردات ، صـ ٢٠٨ ، كتاب الراء .

[3] لسان العرب ، ٣/ ١٧٧٨، مادة روغ ، باب الراء.

[4] روح المعانى ، ٢٧ / ١٢ ، بتصرف .

[5] إحياء علوم الدين للغزالى ، نقلا عن حاتم الأصم ،١٦/٢.

٦- التعجيل بإعطاء أجرة الأجير :

يستحب المبادرة إلى إعطاء الأجير حقه عقب فراغه من عمله المكلف به ؛ لقول رسول الله-ﷺ- " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه"[١].

"والعلة فى ذلك: أن أجره عمالة جسده ، وقد عجل منفعته ، فإذا عجلها استحق التعجيل ، ومن شأن الباعة إذا قبضوا الثمن عند التسليم ،،، فهو أحق وأولى إذا كان ثمن مهجته لا ثمن سلعته ، فيحرم مطله والتسويف به مع القدرة ، فالأمر بإعطائه قبل جفاف عرقه إنما هو كناية عن وجوب المبادرة"[٢].

---

[١] رواه الطبرانى فى الصغير ١/ ٤٣ عن جابر بن عبد الله وقال فى إسناده ضعف (المعجم الصغير لـ سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبرانى ، المكتب الإسامى ، بيروت ١٩٨٥م ، الأولى ، تحقيق/ محمد شكور)، كما ذكره الهيثمى فى مجمعه ٩٨/٤ باب بيان الأجر ، والحديث ، حسنه المناوى فى فيض القدير ٥٦٣/١ لتعدد طرقه .

[٢] فيض القدير ١/ ٥٦٢ .

٧- التعجيل بالإفطار للصائم :

يسن التعجيل بالإفطار للصائم لحديث رسول الله-ﷺ- " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"[١] .

والحكمة فى هذه الخيرية كما فى الفتح :"أن لا يزاد فى النهار من الليل ، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة "[٢].

... وهذه السنة اتفق عليها الفقهاء إذا تحقق من غروب الشمس ولم يشك فيه ؛ لأنه إذا شك فى الغروب حرم عليه الفطر اتفاقا ، وأجاز البعض تعجيل الفطر بغلبة الظن"[٣].

قال الإمام النووى:"فى الحديث الحث على تعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس ، ومعناه لا يزال أمر الأمة منتظما وهم بخير ماداموا محافظين على هذه السنة ، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه"[٤].

وقال الإمام المناوى:"لأن تعجيله بعد تيقن الغروب من سنن المرسلين ، فمن حافظ عليه تخلق بأخلاقهم ؛ ولأن فيه مخالفة أهل الكتاب فى تأخيرهم إلى اشتباك النجوم وفى ملتنا شعار أهل البدع ، فمن خالفهم واتبع السنة لم يزل بخير"[٥].

وروى أيضا عن النبى-ﷺ- قال:"قال الله -ﷻ- :أحب عبادى إلى أعجلهم فطرا"[٦].

---

[١] أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب الصوم باب تعجيل الفطر ، ٥٨٢/٢ ، عن سهل بن سعد -رضي الله عنه- كما أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصوم ، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه وتعجيل الفطر ، ٧٧١/٢ ، رقم الحديث (١٠٩٨) ، عن سهل أيضا .

[٢] فتح البارى ، ٢٣٤/٤ .

[٣] كشاف القناع ٣٣١/٢ بتصرف - مغنى المحتاج ٤٣٤/١ ، المغنى لابن قدامة ، عبد الله بن بن قدامة المقدسى ، ٥٥/٣ - دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ الأولى -.

[٤] صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ٢٠٨ ، بتصرف طفيف .

[٥] فيض القدير ٤٥٠/٦ .

[٦] أخرجه الترمذى فى سننه كتاب الصوم ، باب ما جاء فى تعجيل الإفطار ٧٤/٣ ، رقم الحديث (٧٠٠) ، عن أبى هريرة ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

"ولعل السبب فى هذه المحبة المتابعة للسنة والمباعدة للبدعة والمخالفة لأهل الكتاب"[1].

"وزاد الإمام المناوى لما فيه من الانقياد لأمر الشارع وسرعة ائتماره بأمره بمسارعة فطره ؛ ولأنه إذا أفطر قبل الصلاة تمكن من أدائها بتوفر خشوع وحضور قلب"[2].

وروى أن رجلين دخلا على السيدة عائشة رضى الله عنها وقالا لها : يا أم المؤمنين –رجلان من أصحاب محمد –ﷺ– أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة – قالت : أيهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة ؟ قال : قلنا عبد الله [يعنى ابن مسعود] قالت كذلك كان يصنع رسول الله –ﷺ–[3].

وخلاصة القول : إن تعجيل الإفطار مستحب إذا تحقق من غروب الشمس لما فيه من مخالفة أهل البدع ، كما أن فيه دفع المشقة عن الصائم وقد قال تعالى:"**وما جعل عليكم في الدين من حرج**"[4].

وبعد الحديث عن التعجيل بالخيرات وذكر بعض نماذج لها ، وهو تعجل ممدوح ؛ لأنه لا يحتاج إلى تدبر ولا تمهل لكونه معلوم العاقبة ، ننتقل للحديث عن شكل آخر من أشكال العجلة ، وهو ما كان غير معلوم العاقبة والأولى فيه التريث والتمهل ، إلا أنه تعجل فيه لما له من بواعث محمودة ، فاعتبر – نظرا لهذه البواعث ، ولعلو مقام فاعله– فعلا خلاف الأولى.**وهو حديثنا فى الفصل الثانى من هذا البحث إن شاء الله تعالى .**

---

[1] تحفة الأحوذى ٣٨٦/٣ .

[2] فيض القدير ٤٨٥/٤ .

[3] أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ٧٧١/٢ ، ٧٧٢ ، رقم الحديث (١٠٩٩) ،[والحديث مروى عن أبى عطية وصدره : دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا .....الحديث]

[4] سورة الحج ، من الآية: ٧٨ .